الفصل الثاني والعشرون
تقويم ثورة أيلول

الثورة والإقطاع

العلاقات القبائلية كانت تسود المجتمع الكردستاني عند قيام ثورة أيلول. ومن تقاليدها المتوارثة سلطة رئيس العشيرة التي كادت تكون مطلقة على أفراد عشيرته مقابل طاعة عمياء من هؤلاء فلايسأل واحدهم عن أمر أتاه رئيسه أو قرار إتخذه بحق أبناء العشيرة. فهو مطاع أكان على خطأ أو على صواب.

إن الإنقلاب الذي أحدثته الثورة في هذه العلاقة لم يأتِ سهلاً أو هيِّناً. فقد دفعت ثمناً باهضاً من الجهود والدماء. كان من أولى مهام الثورة أن تستبدل علاقة العشيرة بعلاقة المواطنة. وأن تحلّ الولاء للثورة والوطن محلّ الولاء للعشيرة والآغا. وقد نجحت في هذا أيّما نجاح بجهود ومساعي الحزب الديمقراطي الكردستاني وتضحياته الجسيمة. لقد حققت الثورة ومن ورائها الحزب إنقلاباً في المجتمع الكردي يوازي في نظري بل يفوق الإنتصارات التي أحرزتها الثورة في ساحات القتال وميدان السياسة.

رجل العشيرة بإنتمائه الى الجيش الثوري أو بكسبه العضوية في الحزب الديمقراطي الكردستاني يتحرر من نفوذ رئيس عشيرته ولاتحلُّ له طاعته فيما يتعارض مع إنتمائه هذا.

وبالتعاليم التي بثتها الثورة والمباديء التي كان يبشر بها أعضاء الحزب رسخت مفاهيم الوطنية في النفوس. وبسيطرة الثورة على مناطق واسعة من كردستان فسح

المجال لمواجهة الإقطاع والحد من نفوذه وإجراء إصلاحات إجتماعية جذرية ومن أهمّها إشاعة العدل وكفّ يد العدوان على حرية الفرد وإستغلاله من قبل الأغوات والشيوخ. وصار الولاء لهؤلاء الرؤساء يعتمد بالدرجة الأولى على درجة طاعتهم لقوانين الثورة والعمل بموجبها في علاقتهم مع مرؤوسيهم وفي درجة إخلاصهم ووطنيتهم وتعاونهم مع قيادة الثورة.

أما أولئك الذين تنكروا للثورة ولم يحفلوا بمبادئها أو من ناصبها العداء منهم، هبطت منزلتهم بين أتباعهم ولاسيّما أولئك الذين ألقوا بحظوظهم الى جانب أعداء الثورة وتمت مصادرة أراضيهم وتوزيعها على فلاحيهم ومعدميهم ولم تكن ملكاً حلالاً لهم بالأصل.

الثورة والإرهاب

شهد الأصدقاء والأعداء، أنّ الثورة الكردية كانت ثورة نقية لم تنحدر في أي وقت من الاوقات الى مستوى اشاعة الإرهاب بأعمال تخالف قواعد الأخلاق وروح القانون. ظل الشعب الكردي سنيناً عديدة يلتزم بالمباديء العامة لإدارة الحرب والعهود والمواثيق التي تنظم حرب الأنصار إلتزاماً حرفياً. ولم يمارس عملاً إرهابياً لا داخل العراق ولا خارجه في حين توفرت لديه الامكانات كلها ليمارس هذه العمليات وبهذا كسبت الثورة إحتراماً ندر أنْ كسبته ثورة أخرى عبر التاريخ الحديث في أوساط الشعب الكردي عامة وفي الأوساط الدولية سواءً بسواء، رغم الضنك الشديد الذي كان يعانيه شعبنا إذ كادت كردستان أن تكون ساحة حربٍ دائمة وسماؤها مرتعاً للطائرات المغيرة ليلاً ونهاراً الى جانب الانتهاكات وأعمال الابادة الجماعية التي كان يرتكبها الجيش ومرتزقته بين آن وآخر. فلاتدعونا الى تغيير موقفنا من الإرهاب ولاتفقدنا اتزاننا لنقابل تلك الأعمال بمثلها. كما حصل في السليمانية في العام ١٩٦٣ عندما قام الزعيم صديق مصطفى آمر اللواء العشرين بدفن ٨٦ من الأهالي وهم أحياء. وكما قام آمر الفوج طه الشكرچي بشنق ٣٩ شاباً على اعمدة الكهرباء. وقيام غانم مصباح الأمين آمر اللواء العشرين في سَروچاوه قرب بيتواته بتمزيق اجساد ٧٢ مواطناً تحت سرفات الدبابات.

في العام ١٩٦٩ في قرية دكان أحرق ٦٧ امرأة وطفلاً. وفي قرية صوريا المسيحية

قُتِل تسعة وثلاثون من الفتيات والأطفال والنساء والرجال فضلاً عن حوالي أربعين من الجَرحى بأمر من الملازم عبدالكريم محمد الجحيشي. ثم تأتي عملية التعريب بكل بشاعتها. وبالتهجير القسري لآلاف المواطنين الكرد واخلاء مناطق كاملة وتهيئتها لإسكان العرب وقيام النظام بطرد الكُرد الفيليين في العام ١٩٧١ بحجة عدم حصولهم على الجنسية حيث زاد عدد من قذف به عبر الحدود الإيرانية عن عشرين الفاً صودرت ممتلكاتهم وألقي شبانهم في السجن وكل هذا كان واحداً من الأسباب الرئيسة للجفوة بين الثورة وبين النظام.

ثم جاءت الوقيعة الكبرى بعملية الإبادة الجماعية العظمى التي تم فيها القضاء على ثمانية آلاف من البارزانيين في ٣١ من تموز ١٩٨٣ وفي اعقابها قصف حلبجه بالغاز السام قتل جراءها خلال دقائق خمسة آلاف من سكانها. وكذلك إستخدام الغاز السام في مناطق أخرى ووقوع ضحايا عديدة وإختفاء سبعة عشر ألفاً من الشبان الفَيليين.

ولم يكن ذلك كلّه كافياً كما يبدو، فقد توج النظام جرائمه هذه بأم الجرائم وهو ما دعاه بعملية (الأنفال) حين ساق خلالها أكثر من مائة ألف إنسان الى مناطق مجهولة غابت آثارهم تماماً ولم يسمع عنهم أيّ خبر حتى هذه الساعة.

هذه الكوارث والقتول الجماعية لم تحاول الثورة مقابلتها بالمثل مطلقاً ولو بتفجير عبوة ناسفة في مجتمع أو قصف قرية من القرى ولا قتل سفير أو دبلوماسي أو مسؤول من المسؤولين الحكوميين. بل كنّا عكس ذلك نعامل أسراهم بإحترام ورعاية ونخصهم بأفضل ما لدينا من مواد الإعاشة وكثيراً ما عمدنا الى إطلاق سراحهم. وكنا قد نوّهنا بمحاولات ناظم گزار إشاعة الإرهاب في كردستان حتى في أيام السلام. وكيف كان بالمقابل موقف البارزاني من إقتراح زرع قنبلة في منزل خيرالله طلفاح. ها نحن الآن نجني ثمار موقفنا المشرف. احتفاظ الثورة بجلالها وتمسكها بعرى الأخلاق وتعففها عن تلويث سمعتها بأعمال الإرهاب. ها نحن نتلقى مردوده من السمعة الطيبة التي كسبناها في المحافل الدولية والإحترام الذي نلقاه على جميع الأصعدة في الخارج.

في عام ١٩٨٤ قمت بزيارة للمستشار النمساوي (برونو كرايسكي) بڤيينّا. وهو أحد مشاهير الإشتراكيين الديمقراطيين في العالم فلقيت منه حفاوة وتقديراً كبيرين وأثار في حديثه هذه النقطة بالذات، قال:

- انا صديق والدكم. وانا احب الشعب الكردي. أنصحكم بأنْ تواصلوا السير على هذا النهج النظيف. وابتعدوا ما امكنكم عن اسلوب الإغتيالات لتكسبوا عطف الدول عليكم.

أجل فلا سبيل لنا غير هذا وسنقف دائماً ضد سياسة الإغتيالات واشاعة الإرهاب ونتمسك بالأخلاق الثورية العالية ونلتزم في نضالنا بالقيم والأخلاق التي تربّينا عليها وبالقواعد والمباديء التي قررتها المعاهدات والمواثيق الدولية ولانحيد عنها مطلقاً.

الثورة والخدمات المدنية

لم تُغفل الثورة مسألة تأمين الخدمات الإجتماعية العامة في المناطق المحررة لاسيّما في مجالات الثقافة والتعليم ومحاربة الأمية وعملت على فتح مدارس إبتدائية ومتوسطة وثانوية عدة لاسيّما في المناطق التي بقيت في مأمنٍ من الحرب البرية بوجودها الدائم ضمن المنطقة المحررة. وفي المناطق التي كانت معرضة للقصف الجويّ تواصل النشاط التعليمي حيثما تيسّر كادر المعلمين. في كثير من المناطق كان التدريس يتم في العراء وتحت الأشجار وفي الكهوف وكان الإقبال على التعليم شديداً يثير الإعجاب. في تلك الظروف الصعبة أفادت الثورة كثيراً من المتعلمين الملتحقين بالثورة وفتحت لهم دورات تعليمية ليوزَّعوا على المدارس بعد تخرّجهم وأصبحت هذه الدورات في السنوات الأخيرة معهداً ثابتاً في مقرّ الثورة بناوپردان.

وعُنيت الثورة بالجانب الصحي ايضاً. وكان لديها فضلاً عن أربعة مستشفيات سريرية ثابتة، مستوصفات مجهزة بمضمدين وموظفين صحيين وفتحت دورات صحية خرّجت العديد منهم. وتمّ تزويد تلك المراكز الصحية بما تيسّر من الأدوية والعلاجات الطبية الضرورية.

وأفادت الثورة بعد إتفاقية آذار من خدمات المعلمين والتقنيين الذين إلتحقوا بمناطق الثورة وإستدعت جميع المعلمين المجازين والموظفين الصحيين في جهازي الصحة والتربية وواصلوا الخدمة رسمياً وفق إتفاقية آذار وأعتبرت فترة خدمتهم في الثورة فترة رسمية لأغراض التقاعد والترفيع.

وفي ميدان القضاء لم يقف إفتقار الثورة الى العدد الكافي من رجال القانون مانعاً. إذ تمّ إستخدام عدد من الموظفين العدليين الذين سبقت لهم الخدمة في الدوائر العدلية

في كردستان وإستفادت من تجاربهم. وقسّمت كردستان المحررة الى مناطق عدلية، أسست في كلّ منطقة محكمة مدنية ومحكمة شرعية تولاها القضاة الشرعيون المعينون من قبل الثورة، تراجع قراراتها من قبل المحكمة الإستئنافية في المنطقة، وتدقق أحكامها من قبل المحكمة العليا لكردستان ومقرها في ناوپردان حيث يُحال إليها جميع الأحكام الجنائية التي تستدعي التدقيق فضلاً عن النزاعات المدنية الأخرى. ويكون حكمها نهائياً. وقد تمتعت هذه المحاكم بالإستقلال التام وحظرت الثورة السلطات العسكرية أو الإدارات من التدخل في شؤونها. وكانت المحاكم تطبّق القوانين العراقية السارية فضلاً عمّا إشترعته الثورة من القوانين المحلية.

الثورة والاصلاحات الإجتماعية

كان المجتمع الكردي يشكو امراضاً إجتماعية مزمنة عندما بدأت ثورة أيلول. فعمدت الى معالجة معظمها والقضاء عليها.

كانت معظم الجهود منصرفة بين العام ١٩٦١ و١٩٦٤ الى الدفاع عن كيان الثورة وكردستان. ثم وبعد أنْ تحررت مناطق كبيرة وأصبحت تحت سيطرة الثورة. وجد من الضروري إيلاء المجتمع والسكان جزءً من الإهتمام فتم إصدار قرارات هامة في هذا الشأن أذكر منها هذه بصورة خاصة:

١) تحريم تزويج البنات ضد ارادتهن أو إستبدال الصغيرة بالكبيرة. وكان هذا الداء يعمّ كردستان كلها بإستثناء بارزان وهو ظلم عظيم بحق نساء شعبنا منذ عصور سحيقة.

ويتم ذلك بالشكل التالي:

كان الأب (أو العم أو الأخ بغياب الوالد) يعطي الحق لنفسه ببيع الفتاة كما يبيع اغنامه. أو يقوم الوالد أو العم أو الأخ بعمل صفقة منها بأن يعطيها لآخر لقاء زوجة لنفسه. أو يتبادل المعمرون من الرجال فيعطي أحدهما الآخر ابنته. وتنكب الابنتان وتسوء حياتهما بتزويجهما من شيخين معمرين. كثيراً ما تؤدي هذه التصرفات اللاإنسانية الى عداء وثارات تسفك فيها الدماء.

وقد يعمد رجلان الى تزويج ابنتين وليدتين وهما في المهد كل لإبن الآخر. وعندما تكبران يصادف أنْ لاترضى احداهما بالزوج الذي اعطيت له وتأبى مساكنته فتقع

فتنة وتنشأ ثارات ايضاً. كذلك عندما يزوج ابنته الكبيرة لأحدهم منتظراً ابنة صغيرة له أو لإبنه فلا ترضى ويكون خلاف وفتنة.

حرمت الثورة كل هذه الممارسات وفرضت عقوبة على كل من يرتكبها.

٢) بيع المرأة: يفرض الأب ثمناً لابنته. وكثيراً ما يمنع هذا زواج المحبين. حين لايقوى الشاب على تأمين المبلغ الذي وصفه الأب ليد ابنته فتقع حوادث عنف أهونها (الخطف) بكل ماينجم عنه من قتول أحياناً. وقد جعلت الثورة مبلغ مائة دينار حداً أقصى للمهر شريطة أنْ يقوم الأب أو الوليّ بانفاقها على تجهيز ابنته لا لتكون ثمناً لها. ولم تضع الثورة حداً لما يريد أنْ ينفقه الأب من جيبه زيادة على ذلك ان كان في سعة.

٣) عند وجود الإتفاق بين الشابة والشاب. تتم اخذ موافقة اب الابن أو الفتاة بالطلب الرسمي منه بمحضر من وجوه القرية. ويكرر الطلب ثانية. فإنّ اصر الأب على الرفض يكون للمتفقين على الزواج الحق في الذهاب الى اقرب مقر للحزب ويعلنان رغبتهما في الزواج وعند ذلك تتم المراسيم وفق الاصول.

الثورة ورجال الدين

قبل نشوب الثورة لم يكن رجال الدين في كردستان بإختلاف مهامهم وواجباتهم الدينية - يحظون بإهتمام خاص من أجهزة الدولة. تراهم دائماً يعيشون في ظل الفاقة والحرمان والإهمال وبما يجود به عليهم المحسنون. ويحتال بعضهم الآخر على العيش بمصانعة آغا العشيرة أو رئيس القرية على حساب الإحتيال له بإسم الشريعة والسير وفق أوامره والحكم له فيما يعنّ من أقضية ونزاعات محلية.

إلاّ أن إنقلاباً أحدثته الثورة والبارزاني في حياة هؤلاء. فإلى جانب تهيئة أسباب العيش الكريمة لهم ضُمِن تحريرهم من إسار الآغا ومختار القرية وأُفسح لهم المجال بل توجيههم والأخذ بيدهم الى خدمة شعبهم وتعبئة جهودهم في خدمة القضية الوطنية عن طريق تثقيف المواطنين بمبادئها والحث على التمسك بالأخلاق الرفيعة التي يفرضها الدين الحنيف وحثّ الشباب على الإنضمام الى الثورة.

وأفادت الثورة بالمقابل من مؤهلاتهم فأسندت الى عدد كبير منهم وظائف قضائية بتعيينهم قضاة شرعيين في القيادات المحلية ليتفرغوا الى فضّ نزاعات المواطنين.

وبمبادرة من البارزاني تم تأسيس إتحاد علماء الدين الإسلامي في كردستان. وقد أُفتُتح برعايته في العام ١٩٧٠.

موقف الثورة من القوميات والطوائف الدينية

تولّت الثورة نشر وتطبيق مفاهيم الحزب الديمقراطي الكردستاني ومبادئه في العدالة والمساواة والتآخي بين القوميات والديانات والملل والمذاهب ونجحت الى حدٍّ كبير في إزالة رواسب العهود الماضية.

ولم تنكر الثورة حق التمثيل لهذه الفئات إبتداءً من أصغر خلية في الحزب أو فصيل من البيشمرگه وإنتهاءً بأعلى هيئة قيادية فيها، وأعني بها مجلس قيادة الثورة.

والمتتبعون لاشك يذكرون الكاهن الكلداني پولص بيداري الذي كان يمثل مسيحيي كردستان في ذلك المجلس والحظوة الخاصة التي كان يتمتع بها عند البارزاني.

في الواقع أولى القائد والثورة إهتماماً خاصاً بأوضاع المسيحيين. وكان البارزاني يتولى بنفسه متابعة أحوالهم ويعني بتنفيذ مطالبهم وسد حاجاتهم وقد قابلوا إهتمامه هذا والحق يقال بما يعادله من وفاء وإخلاص وتضحية. وكان البارزاني في هذا أميناً مؤكداً وسائراً على النهج الذي رسمه أسلافه من شيوخ بارزان في بسطهم الحماية والرعاية لمسيحيي المنطقة. ومن هذا نبع إخلاصهم وتعلقهم بالثورة وحملهم السلاح للدفاع عنها ليقفوا في صفها حتى النهاية.

ولقي الكرد الإيزيدية في ظل ثورة أيلول الأمان الذي إفتقدوه. كما لقي سائر المذاهب والأديان الحفاوة والإهتمام بأمرها.

ووجدت الثورة نفسها ملزمة دوماً بالدفاع عن حقوق القوميتين الآشورية والتركمانية في كل مفاوضة تجري من المفاوضات العديدة مع الحكومات العراقية.

آثار ثورة أيلول في المجتمع الكردستاني

هناك حقائق لابدّ من التنويه بها تبرز عند المقارنة بين ما كان عليه المجتمع الكردي قبل الثورة وما آل اليه بعدها. ومن ذلك الثقة بالنفس. فقبل الثورة كان أصغر موظف

حكومي يشيع في رئيس عشيرة الرهبة. فيبدو هذا ذليلاً أمامه وكان عريف مخفر للشرطة مثلاً قادراً على إستدعاء كبير قوم فلايعصي له امراً ويسرع اليه من غير أنْ يرى ضرورة لمعرفة سبب استدعائه.

لم يكن أحد من الكرد يجرأ على السؤال أو البحث عن سبب معاملته كمواطن من الدرجة الثانية وهو يعيش فوق ارضه ووطنه. إلاّ أنّ الوضع تغير تماماً بعد الثورة. فقد شاعت الثقة في النفوس وشعر الناس بالكرامة القومية. وأدركوا بأن الشعب الكردي كسائر الشعوب الأخرى له الحق في الحرية وممارستها وقوي الإيمان بعدالة نضال الشعب الكردي وأولى ثقته بزعامة الثورة وأهدافها وهي مصدر قوة لاتحد ولايدانيها سلاح ولا سلطان. والشعور بهذه الكرامة والثقة لم يكن قاصراً على الجماهير التي تعيش في الأراضي المحررة. بل سرت الى المناطق التي كانت تحت سيطرة الحكومة. فالكل كان على يقين بأن عهد العبودية والمذلة يعاني ساعات الإحتضار. وان أيام ذينكما العهدين أصبحت معدودة وها أنهم يتهيأون لإستقبال العهد الجديد وهو آت ولاريب فيه.

من الإنجازات الخالدة العظمى التي حققتها الثورة هي هدم السدود والحواجز الإجتماعية والقبيلية والتقاليد الموروثة التي كانت تقف دائماً حاجزاً لايقتحم، لصهر الشعب الكردي في بوتقة الوحدة.

ويدخل في هذا قضاء الثورة على الولاء العشائري. في أواخر الستينات لم يعد لرئيس العشيرة من نفوذ أو كلمة على اتباعه إلاّ بمقدار انتمائه للثورة ومقدار ما يبدر منه من مشاعر وطنية وهو ما أطلق عليه بالكردية (كوردايەتى).

من آثار الثورة تدويل القضية الكردية وإيصال صوت الشعب الكردي الى أقصى زاوية من زوايا العالم وتعريف الشعوب بمظلمته الكبرى.

ومن آثارها ايضاً نشر الوعي القومي في سائر مناطق كردستان الكبرى. وتقوية اواصر الأخوة والتضامن بين الشعب الكردي والأقوام الأخرى التي تساكنه على ارض كردستان وضمان حرية ممارسة الشعائر الدينية دون رقابة أو حدود للطوائف المذهبية والدينية المختلفة.

ومن نتائجها ايضاً وضعُ حدٍّ للجرائم وفي مقدمتها قطع الطرق وحوادث السلب

والنهب والقتل اخذاً بالثأر وما الى ذلك. وتمتّعت أراضي كردستان المحررة بعهد من الأمن والطمأنينة لم تشهد مثيلاً له في أي حقبة من تاريخها.

إعلام الثورة:
الصحافة الخارجية

ضربت حكومات بغداد حصاراً محكماً على الثورة تناول الجانب الإعلامي منها بنوعٍ خاص. فاستخدمت شتى الوسائل لمنع تسرّب أنبائها الى العالم الخارجي. وكانت الظروف الدولية فضلاً عن وسائل المواصلات التقنيّة في الستينيات والسبعينيات تختلف إختلافاً بيّناً عن ظروفها اليوم. فالآن وبفضل وسائل نقل الخبر الحديثة بدت الكرة الأرضية أشبه بقرية. فالتطور التكنولوجي بقنواته الفضائية كفل نقل الخبر في لحظة واحدة من أدنى بقعة في العالم الى أقصاها.

لم يكن ذلك ميسوراً لنا في حينه. إلاّ أننا كنّا ندرك أهمية وصول صوتنا وأنباء ثورتنا الى العالم الخارجي وبذلنا جهوداً خارقة لكسر الطوق المحكم عليها لإيصال الحقائق عن عدالة قضيتنا ومايتعرض له نضالنا من عدوان. وفي مبدأ الأمر سعينا الى (تهريب) مراسلي الصحف العالمية بمساعدة جنود مجهولين من الوطنيين الكُرد في الخارج، وفي العام ١٩٦٢ أمكن إدخال الدفعة الأولى من المراسلين الصحفيين والإذاعيين بشخص مراسل الإذاعة السويسرية ريشار اندريگ Richard Andregg مع مصوره وأحدث تقريره الصحفي دوياً عالمياً إهتزت له المحافل الدولية فضلاً عن الرأي العام الأوروپي. وجاء على أثره مندوب تلفزيون ألمانيا الغربية هانز فِرّا Hanz Ferra ومصوره. وعلى اثر ذلك بدأت الصحافة العالمية في أوروپا وأمريكا تتسابق الى أرض كردستان المحررة ويركب مندوبوها الأهوال والمخاطر للوصول الينا. وأذكر بالمناسبة دانا آدم شمدت مراسل جريدة النيويورك تايمس وهي أشهر صحيفة في العالم وأوسعها إنتشاراً. وقد ظهرت سلسلة المقالات التي كتبها فيها على شكل كتاب. وممن أصدر كتباً عن الثورة أذكر ديڤيد آدامسن مندوب جريدة الديلي تلگراف اللندنية. ورينيه موريس الصحافي الشهير. فضلاً عن المقالات الرائعة التي كتبها عضو مجلس اللوردات البريطاني والصحافي اللورد كيلبراكن. والمقالات المسلسلة التي كتبها

الصحافي والدبلوماسي المعروف إريك رولو. وما كتبه بريماكوف مراسل صحيفة (پراڤدا) الذي أصبح وزيراً للخارجية الروسية ثم رئيساً للوزراء بعد سقوط النظام الإشتراكي وإنحلال الإتحاد السوڤياتي. وليس بوسعي أن أنسى ذكر مدير التلفزيون الفرنسي (مسيو شوازيل) الذي ربطته بالوالد صداقة حميمة وأصبح من أشدّ المتحمّسين لتقديم قضية الشعب الكردي في العراق للعالم، إنّ ريپورتاجاته التلفزيونية كانت حجر الزاوية لبناء تلك العلاقة الصميمة مع الرأي العام الفرنسي وحكوماته المتعاقبة وقد جنينا منها أعظم الفوائد ومازلنا.

إذاعة الثورة

حاولت قيادة الثورة الحصول علي جهاز بثّ (إذاعة). وكان نجاحها بالأول محدوداً، فقد حصلت على جهاز إذاعة ضعيف البث لاتناسب قوته تلك الجهود المضنية التي بذلها العاملون فيها فضلاً عن الظروف القاسية التي عاناها أعضاء الحزب في نصبها وتشغيلها وإدامتها. وعليّ أنْ أشيد بالجهود العظيمة لثلاثة من الكُرد الفَيْليين من كوادر الحزب إستقدمناهم من بغداد بصورة سرية أحدهم مهندس كهربائي والإثنان الباقيان ميكانيكيان سأكتم أسماءهم هنا لدواعٍ أمنية تتعلق بهم. فقد كان لهؤلاء الفضل في نصب وتشغيل مولدات الكهرباء والتغلب على المصاعب التقنيّة التي كانت تحفّ بالعملية.

كانت قدرتها تقلّ عن كيلوواط واحد ومدى بثها ضيق جداً لايتجاوز دائرة نصف قطرها خمسون كيلومتراً. وأسرعت السلطة الى نصب محطة تشويش قوية تذيع منها أغاني وموسيقى جاز صاخبة لتغطية ما نُذيعه. ومع ذلك فقد كان تأثيرها عظيماً في تقوية معنويات الجماهير.

لم تكتفِ السلطة بإستحداث محطة تشويش لها بل حاولت إسكاتها وتدميرها بحملات قصف من القوة الجوية أكثر من مرة. وأذكر واحدة من تلك الغارات على مقرّها في (قَسري) في أيار ١٩٦٦ فقد تواصلت يومين كاملين.

في تلك الأجواء الصعبة كان القائمون على تشغيل الإذاعة عبدالخالق معروف ومعاونه المهندس الشاب أمجد عبدالواحد وسامي عبدالرحمن وغيرهم يواصلون العمل

غير عابئين بإنفلاق القنابل حولهم بكلّ تجرّدٍ ونكران ذات.

صحافة الثورة

لم تتوقف (خهبات) جريدة الحزب المركزية عن الصدور مطلقاً رغم ظروف الثورة الطباعية القاسية. وقد إستطاع الفرع الثاني للحزب تأمين مطبعة بدائية عام ١٩٦٤ بعد أن أحرق جماعة إبراهيم أحمد المطبعة القديمة حين فشلوا في نقلها الى إيران عند هروبهم في ذلك العام. فقام الكادران الحزبيّان أحمد دَشتي ومصطفى رابَر بنقل المطبعة التي نوّهتُ بها من أربيل الى كردستان بكلّ ما ينطوي عليه مخاطر النقل ومحاذيره الكبرى.

ودأبت خهبات على الصدور مرة واحدة شهرياً وأحياناً مرتين. والى جانبها كانت تصدر نشرة أنباء كردستان بإنتظام، لتنقل أنباء القتال والجرائم التي ترتكبها قوات النظام بحق المواطنين. وأُلقي على عاتق هذه المطبعة طبع الكراريس الحزبية والعسكرية والقوانين والبيانات التي كان يصدرها مجلس قيادة الثورة.

في عام ١٩٧٤ تمكنّا من الحصول على جهاز بث بقوة عشرة كيلوواط وإشترينا مطبعة كبيرة بأحدث طراز لطبع التآخي وغيرها. وحسب علمي أنّها وصلت الى بيروت. وكان من المقرر أن تُشحن من هناك الى إيران. إلاّ أنّها وجدتْ سبيلها الى بغداد ووضعت الحكومة يدها عليها عند تجدد القتال وتمّت مصادرتها.

"التآخي"

كانت عودة "التآخي" اليومية واحداً من مكاسب إتفاق الحادي عشر من آذار ويذكر أنّ صدورها لأول مرة كان بإجازة رسمية في ١٩٦٧. واصلت الصدور حتى إحتجبت في العام ١٩٦٩. وتعاقب على رئاسة تحريرها كلٌّ من صالح اليوسفي وجرجيس فتح الله وعلي عبدالله ودارا توفيق. وإمتيازها في المرحلة الثانية كان بإسم حبيب محمد كريم.

بقيت " التآخي" الى الأخير الصحيفة الحرّة الوحيدة في العراق التي لاتخضع للرقابة الحكومية بين سائر الجرائد التي يشرف عليها الحزب الحاكم والحكومة، جريدة الشعب العراقي كلّه. وأخذت على عاتقها، على أوسع نطاق وأقوى بكثير من السابق، الدفاع عن حقوق العراقيين وحرياتهم الديمقراطية. وظلّت أبداً نافذة لجماهير الشعب العراقي

يتنسّم منها هواء الحرية وشوكةً في خاصرة السلطة لاسبيل الى إنتزاعها، وأعلمني القائمون عليها أنّ عدد النسخ التي كان يُطبع منها كلّ عدد إرتفع في الأسابيع القلائل الأولى من صدورها الأخير ليبلغ (٣٥٠٠٠) نسخة وهو عدد لم تبلغه أية جريدة عراقية في سائر تاريخ الصحافة العراقية.

أفادت الصحيفة من سمعة الثورة ومكانتها ورفضها الخضوع للرقابة الحكومية، لتنتقد الجوانب السلبية من سياسات البعث في الداخل والخارج فنالت بحقّ كلّ ذلك التقدير والإحترام من سائر طبقات المجتمع العراقي لاسيّما طبقة المثقفين الأحرار الذين وجدوا فيها ميداناً لأقلامهم وأقبلوا على المساهمة فيها برغبة وإندفاع وأطلقت لهم الجريدة أصواتهم الحبيسة، وبلغ الإنعطاف الجماهيري نحوها ونحو الثورة ذروته من خلال المساجلات التي إنجرّت اليها أكثر من مرة مع جريدة الثورة وهي جريدة حزب البعث الحاكم الرسمية. وضاق صدر السلطة بها الى الحدّ الذي كان المسؤولون الحكوميون وقادة البعث لايُخفون عنّا إستيا ءهم مما تكتبه، وإتهموها بالتحريض السافر ضدّهم.

والى جانب التآخي صدر باللغة الكردية ملحقها (برايەتى) بشكل صحيفة حيناً وبشكل مجلة حيناً آخر.

إتخذ الإعلام في ثورة أيلول نهجاً ينبثق من الشعار الذي رفعته «الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان»، وكرّست نفسها لإستنهاض جماهير شعبنا وتوعيته وتعريفه بحقوقه المشروعة. ولم يضيّع أيّ فرصة للتنديد بسياسة الحكومات العراقية المتعاقبة العدوانية والقمعية وفضحها، وتعرية المرتزقة وأعداء شعبنا بكل ألوانهم وتحت أيّ زيٍّ يتزيَّوْن به. وركّز على تعزيز الأخوة العربية الكردية والأقليات العرقية والطائفية في العراق.

وعلينا الإقرار هنا بأنّ إعلامنا الخارجي لم يكنْ قطّ بمستوى الإعلام الداخلي، فقد كنّا أبداً نفتقر الى الكادر الكفوء المتفرّغ هناك. إلاّ أنّ النقص سُدّ بدرجة كبيرة وتمّ التعويض عنه بما كان أصدقاؤنا الصحافيون والكتّاب الأجانب يكتبون من مقالات وأبحاث وتقارير وما يصدرونه من الكتب بسائر اللغات الحيّة وفي مقدمتها اللغة الإنكليزية والفرنسية والألمانية والروسية الى حدٍّ ما.

موارد الثورة المالية ومصروفاتها

في بداية الثورة، كان المصدر الوحيد ما يقدمه أبناء هذه الأمة من خدمات وعينيات وما يتبرع به أعضاء الحزب ومن بَدَلات عضويتهم المتواضعة فضلاً عن تبرعات سرية من الوطنيين الكُرد الموسرين. وهي بمجموعها موارد ضئيلة لاتغطي جزءً يسيراً من حاجات ثورة واسعة مسلحة. إلاّ أنّ الإتحاد السوفييتي بمدى علمي بدأ بتخصيص إعانة مالية بعد الأشهر القلائل الأولى. أي إعتباراً من أواخر العام ١٩٦١ قدرها ثلاثمائة وستون ألف دولار سنوياً أي ما يعادل مائة وعشرين ألف دينارٍ عراقيّ بسعر الصرف وقتذاك – وتواصلت هذه المنحة بعين المقدار حتى العام ١٩٦٨ فزيدت الى نصف مليون دينار إبتداءً من العام ١٩٦٩ حتى ١٩٧٢ ثُمّ قطعت تماماً بعد دخول الولايات المتحدة الميدان.

فيما سبق نوهنا تنويهاً عابراً بمساعدة الولايات المتحدة، وتفصيلاً نقول إنّ كلّ ما حصلت عليه الثورة من هذا الباب أي الستة عشر مليون دولار (بعين سعر الصرف للدينار) كما سبق بيانه من هذا المبلغ الإجمالي تسلمنا نقداً ستة ملايين خلال الفترة الممتدة بين الأول من كانون الثاني ١٩٧٣ والأول من آذار ١٩٧٥. وأرصدت البقية لشراء الأسلحة.

ومما أذكر أنّ الحكومة البريطانية قدّمت معونة مالية (إنسانية الطابع) بمبلغ ربع مليون پاون سترليني ولمرة واحدة فقط.

ومن ألمانيا الغربية، قدم فرانز جوزف شتراوس زعيم حزب الإتحاد الإجتماعي المسيحي بإسم حزبه في العام ١٩٦٩ – مبلغ مليونيْ مارك ألماني.

وفي العام ١٩٧٤ وصلتنا هبة مالية قدرها مليون دولار من عاهل المملكة العربية السعودية الملك فيصل بن عبدالعزيز.

أما إيران فكانت مساعدتها متواصلة إعتباراً من إنشاء علاقاتنا بها. إلاّ أنّ مساعدتها المالية في بداية الأمر لم تكن منتظمة ولا بالقدر الذي يستحق الذكر بالمقارنة بالخدمات الأخرى. لكنني أذكر أنّ حكومة الشاه كانت تزوّد الثورة بعشرين مليون تومان شهرياً إبتداءً من الأول من كانون الثاني ١٩٧٤ – لغاية الأول من حزيران ١٩٧٤ من دون إنقطاع ثم ضوعف المبلغ إعتباراً من الأول من تموز ١٩٧٤ حتى الأول

من آذار ١٩٧٥ أي ما يعادل المليوني دينار (بإعتبار سعر الصرف في حينه).

بمثل هذه الموارد الشحيحة لم تكن الثورة حتى العام ١٩٧٤ قادرة على صرف مخصصات مالية منتظمة لعشرات الألوف من المقاتلين ولذويهم. ولا لأجهزة الحزب والقيادات العسكرية. كان أقصى ما أمكن عمله في الستينات في هذا الباب توزيع مبالغ متواضعة على البيشمرگه مرتين أو ثلاث مرات في السنة تتراوح بين خمسة دنانير وثلاثة للمقاتل الواحد في حين كانت تحرص على صرف نثريات قياداتها ومقراتها بإنتظام.

كما حرصت على تأمين النفقات الضرورية للنشاط الخارجي والداخلي والأجهزة الإعلامية الضرورية كالإذاعة ووسائل النشر (المطبعة والصحافة).

بوسعي أن أعرض هنا نموذجاً لأوجه الصرف الذي إعتمدته الثورة للعام ١٩٧٤ على سبيل المثال:

المبلغ بالدينار شهرياً	جهة الصرف
١,٢٥٠,٠٠٠	الجهاز العسكري
٥٥٠,٠٠٠	الإدارات والأمانات العامة
١٥٠,٠٠٠	المكتب السياسي وفروع الحزب
٢٠٠,٠٠٠	مقر البارزاني

المجموع ٢,١٥٠,٠٠٠ دينار

بعد النكسة بقي في حوزة الثورة مبلغ يناهز ثلاثة ملايين دينار ومليون دولار. تمّ صرف الجزء الأكبر من هذين المبلغين على اللاجئين قبل إستقرارهم وخصص المبلغ المتبقي لثورة گولان والنشاط الخارجي وشراء الأسلحة.